عنوان الكتاب : فلسفة العقوبة بحث فى التربية الأخلاقية

المؤلـــف : محمد مهدى علام

سنة النشـر : ١٩٣٢

رقم العهـدة : د ٦١٣٤

الـ ACC : ١١٩٦

عدد الصفحات : ١٣٢

رقم الفيلـــم : ١٢

فلسفة العقوبة

بحث في التربية الأخلاقية

١٥ ر ٢٧٦

« وإنْ عاقبتُمْ فعاقِبوا
بِمِثْلِ ما عُوقِبْتُمْ بِهِ
ولَئِنْ صَبَرْتُم لَهُوَ خَيْرٌ
لِلصَّابِرِينَ »
قرآن كريم

تأليف

محمد مهدى علام

أستاذ التربية وعلم النفس بدار العلوم
وفلسفة الاخلاق بقسم التخصص بالازهر

OF AGRICULTURE GIZA
LIBRARY
٢١٤٥
٦١٢٤

جميع الحقوق للمؤلف

١٣٥٠ هـ — ١٩٣٢ م

المطبعة السلفية . بمصر

اهداء الكتاب

الى ثلاثة معاهد علمية ، أنا مدين لها بكل ما فى نفسى من أثر ، وفى عقلى من تثقيف ، أهدى كتابى هذا . تلك هى :

١) دار العلوم ، بالقاهرة

٢) جامعة الجنوب الغربى لانجلتره باكستر

University of the South West of England.

٣) الكلية الملكية بجامعة لندن

King's College, University of London.

فان يكن فى هذا الكتاب رأى سديد ، أو بحث مفيد ، أو فكرة جديدة ، أو نقد حكيم ، فالفضل فى ذلك كله الى هذه المعاهد التى أحسن الىّ أساتذتها أيما إحسان .

محمد مهدى علام

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله ولى النعم ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

وبعد ، فهذا بحث فى « فلسفة العقوبة » مهد له اشتغالى بتدريسه فى « دار العلوم » و « قسم التخصص » ورغبنى فى نشره أن يسهل تداوله بين الطلاب من جهة ، وأن يطلع عليه القراء من جهة أخرى . ذلك أنه لا يكاد يخلو أب ، أو معلم ، أو أم مثقفة ، أو ولى أمر عهد اليه بشئون صغير أو صغيرة ، من التفكير فى هذه المعضلة الأخلاقية ، معضلة العقوبة . وكثيراً ما سمعنا صوت الشكوى يتردد بأن العقوبات غير مجدية ، وبأن الاطفال قد بلدوا لها . وفى رأيى أن جهلنا بمعنى العقوبة وأغراضها ، وطرق تنفيذها هو السبب المباشر فى اخفاقنا فى التربية الخلقية .

لهذا قصدت بهذا البحث أن أخرج للطلبة الذين يعنيهم هذا الموضوع أولا ، وللمعلمين ثانياً ، وللآباء والامهات ثالثاً ، ولغيرهم

ممن يشوقهم الاطلاع آخراً - فكرة عن العقوبة وما يتصل بها . وقد تطلب هذا أن أبحث أولا فى الذنب الذى من أجله فكرنا فى العقوبة . لذلك بدأت بالكلام فى الشرور الأخلاقية ، مفرقا بينها وبين الشرور القانونية ، ثم تكلمت فى العقوبة ومنشئها وأغراضها ، والمذاهب المختلفة فيها ، والقواعد الاساسية التى يجب أن يحافظ عليها المعاقب . ثم تكلمت فى المسئولية وآراء العلماء قديماً وحديثاً ، ثم انتقلت الى « العفو » الذى هو فى الحقيقة صورة من صور العقوبة . وختمت البحث بالكلام فى آراء بعض الفلاسفة فى العقوبة وخاصة العقوبة الطبيعية على ما ذكره فيها كل من رُوسُو وسپنسر .

وليس هذا الكتاب فى الحقيقة إلا جزءاً من كتاب كبير فى « علم الاخلاق » قد فرغت من كتابته منذ زمن ، وأرجو أن أوفق الى تقديمه للطبع قريباً إن شاء الله تعالى(١)

وانى أتقدم بالشكر الى زميلى الفاضل الاستاذ عبد الجواد عوض زيدان ، على معاونته لى فى مراجعة هذا الكتاب قبل تقديمه للطبع وعلى عدة اقتراحات سديدة انتفعت بها .

١٠ ذي الحجة ١٣٥٠
١٦ ابريل ١٩٣٢

محمد مهدى علام

(١) قد طبع هذا الكتاب عدة طبعات مدرسية تداولها الطلاب وبعض الاصدقاء .

الفصل الأول

الشرور الأخلاقية

تمهيد

للحياة الأخلاقية ناحيتان : ناحيتها الايجابية ، من حيث هى نمو وارتقاء نحو حسن الخلق وكماله — من حيث هى جهاد نحو الفضيلة للوصول اليها ؛ وقد بحثنا هذه الناحية فى موضع آخر (١) . وناحيتها السلبية ، من حيث هى حيدة عن الطريق السوى ، وتدهور نحو الرذيلة . وبعبارة أخرى : ان عمل الاخلاقى يتألف من من أمرين : أحدهما أن يرسم طريق الفضيلة ويضع المثل العليا داعياً من أول الامر اليها ، ثانيهما أنه اذا ألفى الجماعة لم توفق الى سلوك هذه السبيل أخذ بيدها لينتشلها من الوهدة التى ارتطمت فيها . وهذه هى الناحية التى سنعنى ببحثها هنا .

(١) فى الاخلاق العملية ، الجزء الثالث من كتاب الاخلاق الذي أشرت اليه فى المقدمة .

ان الحياة الاخلاقية لاى فرد من الافراد يمكن أن تعتبر عالما نفسياً تخضع له رغباته . فاذا كان هذا العالم ضيقاً محدوداً ، كعالم حب النفس مثلا ، كانت رغبات صاحبه وكذلك أعماله تابعة له ، لا تصدر الا عن كل ما هو متصل بالنفس . واذا كان العالم النفسى أوسع من ذلك ، كأن يكون عالم حب المرء اسرته ، أو وطنه ، أو الانسانية جمعاء ، كانت رغباته وكذلك أعماله تابعة له . فالعالم النفسى الذى يعيش فيه المرء يحدد رغباته ويعينها ؛ وهو بعبارة أخرى يوضح لنا المستوى الاخلاق الذى يعيش تبعاً له ، أو المقياس الاخلاقى الذى يقيس به أعماله .

اتضح لنا اذن أن هذا العالم قد يكون ضيقاً ، وقد يكون واسعاً شاملا . وهو فى معظم الاحوال البشرية ضيق ضيقاً كافياً لاخراج كثير من المصالح البشرية من اعتبار صاحبه . وهذا الضيق منبع للنزاع والصراع الاخلاقى ؛ اذ يظهر الخير الشخصى بمظهر المعارض للخير العام للانسانية .

ويرى بعض العلماء أن ليس فى الوجود من يبحث عن شىء لا يعتقد أنه خير(١) : فالشر لا يُسعى وراءه من حيث هو شر ،

(١) راجع بحث الميول الانسانية وأقسامها فى الجزء الاول من كتاب الاخلاق للمؤلف .

بل من حيث هو خير تحت ظرف من الظروف الخاصة . ولكن الخير الذى يسعى اليه ليس الا الخير الذى للعالم الذى يتعلق به فى لحظة بعينها . وليس من الضرورى أن يكون ذلك خيراً للمرء نفسه ـ سواء فى لحظة بعينها أو مدى الحياة ، ولا أن يكون من باب أولى خيراً للجماعة البشرية . فلربما كان خيراً لعالم ضيق جداً ، عالم رجل لا يبذل جهداً مطلقاً للوصول الى الحرية الاخلاقية ، رجل يظل أسير شهواته وميوله الحيوانية ، مفضلا العبودية السهلة على الحرية المجهدة .

على أن من الحالات ما تكون فيه معارضة الخير العام غرضاً يسعى اليه عمداً ، حالات أولئك الأفراد الذين يناصبون الجماعة العداء ، وينازلون المجتمع ، ويخاصمونه قائلين مع شيطان « ملتن » :

« أيهذا الشر كن خير مرامى ! (١) »

أو مع الشاعر العربى :

اذا أنت لم تنفع فضر ، فانما
يرجى الفتى كيما يضر وينفعا

ان الواجبات الاجتماعية تبدو خطراً دائماً يتهدد كل فرد

(١) "Evel, be Thou my good."

لم يوفق بين خيره وخير الجماعة البشرية التى يعيش فيها ، ولم يقتنع بأنهما خير واحد لها مظهران ليس غير . وهو فى مثل هذه الحالة أقرب الى أن يشهر سلاحه فى وجه تلك الواجبات ، من أن يضحى بما يسميه خيره الشخصى . وهو لا يستطيع أن يطرح هذه الواجبات كما يستطيع أن يطرح خيرات أخرى خارجة عن خيره . لان الواجبات الاجتماعية دائرة أوسع ، فهى تشمل نفسه ولذلك لايجد له مناصاً من إحدى نتيجتين : إما أن يوفق بينها وبين نفسه ، وإما أن يعلن الحرب عليها(١) ؛ بخلاف حالة التعارض بين خيره هو وخير جزئى آخر ، فانه قد يكتفى باهماله واطراحه كما أشرنا ، من غير مناوأة ايجابية ، ولا عداء صريح . وقد لا تصل تلك الخصومة مع المجتمع الى الحد الذى عبر عنه ملتن ، على لسان شيطانه ، أو الشاعر العربى ؛ ولكننا نرى صورة مصغرة من تلك الخصومة فيما يتممه الأطفال من الافراد ، إذا هم شعروا بتلك المعارضة بين مايسمونه خيرهم ، وخير غيرهم . وكذلك فيما

(١) الناس من حيث علاقتهم بالمجتمع أصناف ثلاثة : ١) الرجل العادي وهو الذي يخضع للمجتمع ونظمه . ٢) العبقري المصلح وهو الذى يرتفع عالمه النفسي عن مجتمعه ويابى الا ان يدعو المجتمع الى مستواه . ٣) الشريد المجرم وهو الذى ينحط عالمه عن مجتمعه وينازل الجماعة البشرية فتنفيه من حظيرتها فى صور مختلفة . يراجع فى الجزء الاول من كتابنا « الاخلاق » البيئة الاجتماعية .

نشاهده فى الناس من ميل الى ترويج الفضائح الاجتماعية .

كأنما يقول الفرد حينذاك :

« إذا مت ظمآناً فلا نزل القطر ! »

واذا نحن أغضينا عن هذه الحرب على المجتمع ، ألفينا حتى أفضل الناس يظهرون فى بعض الاحيان نقائص تتصل بنوع العالم الذى يعيشون فيه . وكلما كان ذلك العالم أضيق كانت تلك النقائص أظهر . وهذا هو مايعلل لنا الهنات التى كثيراً ما تبدو على رجال من أشد الناس تمسكا بالفضيلة . أما الخلق الضعيف فليس له نقائص معينة ، فهو يتدفق على غير هدى ، وينتقل فى حدود « عوالم » كثيرة ، من غير أن يحل بواحد منها فهو لايخرج من العوالم الا قليلا ، لانه لايحتل منها الا قليلا . انه كالحرباء يتلون بلون كل عالم يتصل به . ومثل هذا الشخص لايخالف القوانين الاجتماعية مخالفة عنيفة ، فهو من غير أن يتعمد الخطأ مخطىء ، وهو لايسعى الى غاية بعينها ، خيرة كانت أو شريرة ، بل تسوقه الريح حيث هبت ، ويجتذبه التيار اينما سار ، من غير حاجة الى دقة فى الملاحة لتسيير سفينته . وعلى مثل هذا ينطبق المثل القائل : « مالذة العيش الا للمجانين . » وقول المتنبي : « وأخو الجهالة فى الشقاوة ينعم »

أما الرجل الذى فى أخلاقه قوة فى ناحية من النواحى فانه يصحبه عادة ضعف فى بعض النواحى . فالعالم الذى يعيش فيه

ذلك الرجل عالم محدود متميز عما عداه ، وهو من أجل ذلك يخرج عوالم أخرى هى عناصر فى الحياة الاخلاقية الكاملة : فنحن نرى الشاعر المفلق ، رقيق الاحساس ، دقيق الوجدان ، مليئاً بالافكار والالهامات العالية ، ولكنه كثيراً ما يكون ضعيف الارادة ، ضعيف الانتباه الى بعض التقاليد المرعية عرفا أو أخلاقاً . ولقد يكون المصلح الاجتماعى غافلا عن ضعف نفسه . وكثيراً مايكون الرجل الذى يتصدى لحل المعضلات العامة عاجزاً عن حل معضلاته البيتية ، « كسقراط » الذى جلب لأسرته شهرة أكثر مما جلب لها خبزا (١) .

لذلك كان من الواجب لدى الحكم الاخلاقى على شخص من الاشخاص ألا نقف عند ماقصر عن أدائه ، بل أن نبحث فيما قام به وفيما حاول النهوض به وان لم يوفق . يقول أكثم بن صيفى : « لاتمنعنكم مساوئ رجل من ذكر محاسنه . » ويقول كرليل : « نسلم بأن السفينة قد وصلت الى المرفأ مقطعة أحبالها ، فدليل السفينة ملوم . ولكنه ليس عليما بكل شىء ، ولا قديراً على كل شىء . فلا بد أن تخبرنا ، قبل أن نعرف كيف يلام ، هل كانت رحلته حول الكرة الأرضية ، أم انها لم تزد على رحلة قصيرة الى رَمْزْ گيتْ . » (٢)

(١) كذا كانت تقول له زوجته . (٢) هذه ال « گ » تنطق جيما مصرية وسأستعملها كلما وردت جيم اجنبية غير معطشة

ان خطايا المرء ظل فضائله ؛ واذا كانت الحياة الكاملة تخلو من الخطايا ، فان تلك الحياة غير محققة على وجه الأرض لغير الأنبياء والمرسلين . وما دام المرء لابد له أن يزل ، فان رذائل أفضل الناس ليست أفضل الرذائل ؛ وانما هى على العكس أرذل الرذائل . وهذا هو مرمى العبارة المشهورة : « حسنات الأبرار سيئات المقربين »

أنواع الشرور الاخلاقية

الفرق بين الرذيلة والخطيئة والجريمة

الرذيلة :

ان الشرور الاخلاقية يمكن النظر اليها من ناحيتين متقابلتين : من الناحية الداخلية ، أو من الناحية الخارجية — من جهة أنها نقائص فى الخلق ، أو من جهة أنها نقائص فى السلوك . فبالاعتبار الأول توصف بأنها رذائل ؛ اذ الرذيلة هى الصفة التى تقابل الفضيلة ، فكما وصفنا الخلق فى حالة كماله بالفضيلة ، نصفه فى حالة نقصه بالرذيلة . وبالاعتبار الثانى تسمى الشرور الأخلاقية خطيئة أو جريمة [1] .

(١) قال فى القاموس : الرذيلة ضد الفضيلة ، والخطيئة الذنب ، والجريمة الذنب أو الجناية . وهذه المعانى اللغوية تكاد تتفق والمعانى الاصطلاحية . وتتفق فى أصل اشتقاقها واشتقاق الكلمات التى تقابلها بالانجليزية :
Vice, sin, crime.

وان الناحية الداخلية لأشمل وأعم من الخارجية ، لأن صبغة الخلق الباطنى يندر ألا تصبغ بلونها أعمالنا الخارجية ، مهما أمكن أن تستتر ، ومهما بقيت غير بارزة فى صورة عملية :

ومهما تكن عند امرىء من خليقة ،
وان خالها تخفى على الناس ، تعلم

ولقد جعل الاسلام للشر فى القلب من الخطر ماجعل للشر فى الفعل ؛ بل هو قد جعل مناط الخير والشر القلب دون الفعل : « قلْ إنْ تُبْدوا ما فى أنفسكم أو تخفوهُ يُحاسِبْكم بهِ الله » [1] « انما الأعمال بالنيات ، وانما لكل امرىء مانوى » [2]

وليس الا رأيا سطحيا ذلك الذى يهتم بالأفعال دون القلوب . ان الفكرة التى توحى مثل الحديث الشريف القائل : « كل عين زانية ، والمرأة اذا استعطرت فمرت بالمجلس فهى كذا وكذا » لتعد فتحاً جديداً فى الاخلاق يكاد يكون غير معروف قبل انبلاج فجر الاسلام على العالم . ان هذا تطبيق أدق لمعنى الأخلاق . وهذا التطبيق الدقيق هو الذى يجعلنا نضن بنعت الحسن أو الخير على عمل من الاعمال هو فى ظاهره عمل صالح ، اذا لم يكن صادراً عن أفضل البواعث . ولعل هذا يشرح لنا ما يقوله بعض الفلاسفة

(١) قرآن كريم سورة ٢ آية ٢٨٤
(٢) حديث شريف

من أن فضائل الوثنيين ليست الا « رذائل فاخرة » (١)

الرذائل فى العصور المختلفة

تختلف المقاييس الاخلاقية باختلاف العصور والأمم ، ومالها من عرف ، وتقاليد ، ومثل عليا ، وديانة ، وحكومة . أو بعبارة أخرى — اذا رجعنا الى اصطلاحنا العلمى — : تعيش الأمم فى عوالم نفسية مختلفة ، كما يعيش الافراد ، وقد تكون هذه العوالم ضيقة فى عصر من العصور ، أو لدى أمة من الأمم ، فى حين تكون واسعة شاملة فى عصر آخر ، أو لدى أمة أخرى . لذلك كان كثير مما نعده اليوم رذائل غير معدود فيما مضى كذلك . وقد يعد المستقبل القريب أو البعيد رذائل أموراً لا نعدها الآن كذلك . فرذائل اليوم قد تكون فضائل مرحلة من مراحل المدنية المنحطة ، أى من العوالم المنحطة التى ارتقينا فوقها ، وان كان بعض الناس لايزال يعيش خاضعاً لها . وفى ذلك يقول الاستاذ ألكزاندر « Alexander » : ان القتل ، والكذب ، والسرقة ، رذائل وراثية قد خلقتها لنا العصور التى كانت تنظر اليها على أنها أمور مشروعة ،

(١) يرى مكنزي أن أول من استحدث هذا التطبيق الاخلاقي هو المسيحية ، ويرى جرين أن هذا كان متبعاً عند عظماء الفلاسفة من اليونان . ومهما يكن الامر فان الاسلام قد عنى بهذه الناحية عناية لم يسبق اليها ولم يلحق فيها ، كما سيأتى تفصيله قريباً .

حينما كان من الشرف أن تقتل كل من لم يكن عضواً فى العشيرة ، وأن تكذب غير متأثم لتنال غرضاً من الاغراض ، وحينما كانت الملكية هرجة ومرجلة . »

ولعل ذلك كله أو بعضه مشاهد الى الآن فى بعض القبائل المتوحشة ، بل لعلنا نحس بشىء قليل من ذلك فى بعض جهات القطر المصرى .

ولدينا مثل أخرى : منها ما ورد فى الأُديسا (الكتاب الثالث ٧٠ وما يليه) حينما يُسأل تلماخس فى لطف وأدب : هل صناعته « القرصنة » أو أية صناعة أخرى . مما يدلنا على أن اليونان لذلك العهد لم يكونوا يرون فى « القرصنة » الا صناعة شريفة كغيرها من الصناعات . وها هوذا ارستطاليس العظيم يذكر فى طائفة واحدة من الصناع : صيادى الوحوش ، وصيادى السمك ، والقرصان (١) . ونحن نعلم أن الاسبرطيين كانوا لا يعدون السرقة رذيلة ، وانما كانوا يعدون الرذيلة أن يضبط السارق . وبعض طوائف الهنود تعتبر — فيما يقوله أحد العلماء — كلا من القتل والسرقة عملا مشروعا . وما بالنا نذهب بعيدا وأمامنا معاملة الامريكيين للزنوج والتنكيل بهم على طريقتهم

(١) « السياسة » الكتاب الاول الفقرة الثامنة ص ٣٩ ترجمة Jowett

المشهورة (١) واحتقار الاوروبيين لغيرهم من الاجناس . فهذه الاعمال الجائزة اليوم قد تصبح بل ستصبح رذائل الغد . وبين يدى الآن كراسات التعداد الاخير للقطر المصرى سنة ١٩٢٧ وفيها صناعات تعترف بها الحكومة وترخص لها برخص رسمية ولا تتحاشى أن تثبت ذلك فى كتاب رسمى . ولعل المستقبل القريب — القريب جداً ينبئنا بزوال هذه « الصناعات » أو على أقل تقدير بعدم الاعتراف بها رسميا (٢)

تقسيم الرذائل :

إن تقسيم الرذائل ، كتقسيم الفضائل ، عمل شاق لأن بعض الرذائل يتضمن بعضاً . وبذلك يصعب وضع تقسيم متقن للاعمال

(١) "Lynching" وهى أنه اذا ارتكب أحد الزنوج ذنباً لم يمهله الشعب حتى يحاكم أمام القضاء بحاكمة قانونية . بل يتولى الدهماء الحكم عليه والتنفيذ بمجرد وقوعه فى أيديهم ولا تسل عن القسوة التي تتمثل فى العقوبة من احراق وتقطيع الخ يراجع : Dow, Society & Its Problems,

(٢) ان القلم ليهتز انزعاجا حينما ينقل عن الكراسات المشار اليها أن البغاء صناعة ليس مرخصا بها للنساء فقط بل للرجال الخانيث أيضاً : فكراسة القاهرة تقرر أن خمسة (أو خمسا !؟) يحترفون هذه الحرفة المهينة ، وكراسة الاسكندرية تذكر خمسة أخرى وفى كل من البحيرة وقنا وجرجا اثنان وكل من كراستي الفيوم وبني سويف تسجل واحدا — وانا لنتقدم الى رجال الدين والتشريع باسم الفضيلة ليعملوا على محو هذه السبة عن بلادنا .

لرذيلة بحيث يكون جامعاً لجميع الرذائل ، مخرجاً ماعداها . ذلك إلى أن صعوبة أخرى قد تواجهنا ، وهى أن بعض الاعمال يصعب وضعه فى كفة الرذيلة أو كفة الفضيلة . فقد يكذب طفل من الاطفال لينجى صديقاً من عقوبة من العقوبات . وقد يسمى بعض الناس هذا العمل رذيلة ، وقد يسميه بعضهم شجاعة ، أو تضحية ، أو تفانياً فى نصرة الصديق . وبذلك قد تظهر لنا الرذيلة متشحة بوشاح الفضيلة . وقدجرى بعض الفلاسفة على تقسيم الرذائل إلى شخصية (أو فردية) واجتماعية (أو غيرية) . ولكن هذا التقسيم مضلل ، لأنه قد يجرنا الى اعتبار الشخص وحدة مستقلة عن جماعته التى يعيش فيها ، وبذلك يمكن أن يكون له رذائل شخصية . وبديهى أنه ليس للمرء حياة مستقلة عن علاقاته الاجتماعية فأية رذيلة ذات اتصال بشر الفرد هى كذلك ذات اتصال بشر الجماعة . غير أن هذا لا يقعدنا عن التفريق بين حياة الفرد والحياة العامة للمجتمع الذى يعيش عضواً فيه ، وبذلك يكون بعض الرذائل أكثر صلة بالحياة الفردية ، على حين يكون البعض الآخر أمتن علاقة بالحياة الاجتماعية .

ومن الفلاسفة من يقسم الرذائل الى :

(ا) رذائل ناشئة عن خضوعنا لشهواتنا ، كالفجور ، والاثرة ، والبخل .

(ب) رذائل ناشئة عن عجزنا عن تحمل بعض الآلام ، كالجبن ، والخَفَر .

(ح) رذائل ناشئة عن الخرق فى اختيار غاياتنا ، كالظلم ، والتهور ، والاسراف .

ولعل خير تقسيم عملى للرذائل هو ذلك الذى وضعه أرسطاليس عند ما تكلم فى « نظرية الوسط فى الفضيلة » إذ اعتبر لكل فضيلة رذيلتين تنشآن عن الإفراط (الاغراق) أو التفريط (التقصير) . وهذا هو التقسيم الذى سار عليه معظم الفلاسفة من بعده (١) ولا سيما فلاسفة المسلمين من أمثال الغزالى وابن مسكويه .

وها هوذا جدول يجمع الرذائل التى يراها أرسطاليس أهم الرذائل مع الفضائل التى تتصل بها :

(١) قد وضع بنجامين فرنكلين تقسيما شائقاً وان كان غير دقيق راجع تاريخ حياته بقلمه :
Memoirs of Benjamin Franklin PP. 98—110

الافـــراط	الوســـط	التفـــريط
رذيلة	فضيلة	رذيلة
التهوُّر	الشجاعة	الجبن
الفجور	العفة أو الاعتدال	خمود اللذات أو عدم الحساسية
الإسراف أو السفه	السخاء أو الكرم	البخل
الوقاحة أو الغطرسة	الكرامة أو عزة النفس	ضعة النفس أو الذلة
الشراسة	الحلم	الفتور أو البلادة
التنفُّج (١) أو المبالغة	الصدق	التحفظ او التعمية
السخرية	البشاشة	الفظاظة
التملق	الصداقة	التشاكس أو الشكر
التبجح أو السلاطة أو الوقاحة	الحياء	الخَفَر أو الخَرَق (٢)
حسد الغير على سعادته (الظلم)	العدل (٣)	الشماتة فى مصيبة الغير (الانظلام)

(١) التَّنفُّج : تَنَفَّج افتخر بأكثر مما عنده

(٢) الخَرَق محركة : الدهش من خوف أو حياء . أو أن يبهت فاتحا عينيه . وأن يفرق الغزال فيعجز عن النهوض : والطائر فلا يقدر على الطيران .

(٣) الرذيلتان الناشئتان عن الحيدة عن فضيلة العدل هما حسد الغير على سعادته ، والشماتة بمصيبة الغير . وهذا رأي أرسطو . اما الظلم والانظلام فهو رأي افلاطون . وهو أوجه من رأى أرسطو .
يراجع الكتاب الاول من الجمهورية لافلاطون والكتاب الثانى من الاخلاق لارسطو

الخطيئة

لئن كان حقاً أن الناحية الداخلية لخلق شرير لاتقل أهمية من الوجهة الاخلاقية عن الأعمال الشريرة التى تنشأ عنهـا ، إن من الانصاف أن نعترف بأن هناك فرقا بين الرذيلة التى تسكن القلب لاتتحرك منه ، والرذيلة التى تعبر عن نفسها بالأفعال الشريرة ، كما أن هناك فرقا بين الفضيلة التى تظل من « العزائم الطيبة » والفضيلة التى تثمر عملا صالحا.

يقول المثل الانجليزى : « إن الطريق الى جهنم مرصوف بالعزائم الصالحة » (١) وهو يرمى الى فكرة أخلاقية سامية ، هى أن العزائم الصالحة التى يرجع المرء عنها قبل انفاذها تمهد له سبيل الشر . وفى الحق أن نلوم المرء اذا هو عدل طائعاً مختاراً عن ارادة طيبة . غير أنه يظهر أن موقفنا ازاء عكس هذه الحالة غريب نوعا ما . فهـل نحن ، كما نقسو على صاحب العزيمة الصالحة اذا هو عدل عنها ، نعطف على صاحب العزيمـة الآثمة اذا هو عدل عنهـا كذلك ؟

أما الحكم الاخلاقى فأنا به زعيم : وهو أنه يجب أن نعطف عليه ما دام قد عدل طائعاً مختاراً عن عزيمته الآثمة . وأما حكم العرف والناس فقد تـكفل به العلامة مورهد « Muirhead »

(١) The rood to Hell is paved with good intention.s

إذ يقول : « لقد عُنى المثل (يشير الى المثل الانجليزى السابق) ببيان الفرق بين العزيمة والعمل ، فى حالة العزيمة الصالحة . ولعله مما لايشرف الطبيعة البشرية كثيراً أن تفكيراً شبيهاً بذلك فيما يتعلق بالعزائم الشريرة لايجعلنا أكثر تسامحاً مع الاشخاص الذين يضبطون وهم ، على ما يظهر ، على وشك الوقوع فى الخطيئة . »

ان من المحقق أن المسافة بيننا وبين الجرائم المروعة كثيراً ماتكون أبعد مما يبدو لنا . يقول كَرْلِيلْ « ان بين العزيمة على الجريمة وتنفيذ الجريمـة لفجوة عميقة عجيب أمرها . فالاصبع فى زناد المسدس ، ولكن الرجل لم يصر بعد سفاكا (١) بل ان نفسه بأجمعها تجـاهد ، أفليس ثمة وقفة مضطربة ؟ أفليس ثمة لحظة من الممكن أن يتحول فيها عن اجرامه ؟ » وكانما عبر كرليل عن نصف الحديث الشريف « .... فان الرجل منكم ليعمل حتى ما يكون بينه وبين الجنة إلا ذراع ، فيسبق عليه كتابه فيعمل بعمل أهل النار . ويعمل حتى ما يـكون بينه وبين النار إلا ذراع ، فيسبق عليه الـكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة . » (٢)

(١) ماأحلى المثل الانجليزي القائل : « كم سقطة بن الكأس والشفة ! »
' There is many a slip 'twixt the cup and the lip."
(٢) لهذا الحديث غير رواية ولكنها كلها متفقة فى هذا المعنى ، وهذه رواية البخاري « كتاب بدء الخلق » .

ولعلنا فى حل اذن من أن نكمل ذلك المثل الانجليزى فنقول: « كما أن الطريق الى جهنم مرصوف بالعزائم الصالحة ، فكذلك الطريق الى الجنة مرصوف بالعزائم الآثمة » . وهذا هو ما يرمى اليه ابن المقفع اذ يقول : « اذا هممت بخير فبادر هواك ، لا يغلبك . واذا هممت بشر فسوّف هواك ، لعلك تظفر . فان ما مضى من الأيام والساعات على ذلك هو الغنم . » (١)

ولأعد مرة أخرى الى « الأخلاقية الاسلامية » بهذا الصدد. فقد أوضحت فيما سبق أن الاسلام يعنى بالارادة ويحاسب عليها ، وأريد أن أدفع هنا شبهة قد ترد على بعض الاذهان من لفظ بعض الاحاديث الشريفة . وسنرى أن جميع ما أثر فى هذا الموضوع يرمى الى فكرة أخلاقية واحدة : قال رسول الله ﷺ « ان الله عز وجل تجاوز لأمتى عما حدثت به أنفسها ما لم تعمل أو تتكلم به . » والمراد هنا حديث النفس ، وهو من غير شك مرحلة دون العزيمة بكثير ، وان رجعنا الى اصطلاحاتنا العلمية(٢) وجدنا أن حديث النفس هذا ليس الا ما سميناه الرغبة فهو أقل

(١) الادب الصغير (٢) فى الجزء الاول من كتابنا فى الاخلاق « الميول وأقسامها » . وقد اصطلحنا على تقسيمها الى مراحل أسميناها على الترتيب : الحاجة النباتية ، الشهوة الحيوانية ، الرغبة الانسانية ، فالنية ، فالارادة (أو العزيمة) .

من العزيمة ؛ بل هو أقل من النية التى هى أقل من العزيمة . وطبيعى ألا يكون هناك حساب على مثل هذا الحديث النفسى ، لأن فى ذلك حرجا ومشقة ؛ اذ أن هذا الحديث النفسى فى معظم الاحيان خارج ، أو يكاد يكون خارجا ، عن ارادة الشخص .

وجاء فى حديث آخر : « قالت الملائكة : رب ، ذاك عبدك يريد أن يعمل سيئة — وهو أبصر به — فقال : ارقبوه ، فان عملها فاكتبوها له بمثلها ؛ وان تركها فاكتبوها له حسنة ؛ انما تركها من جرّاى . » ونحن نرى أن الكلمة التى استخدمت فى هذا الحديث هى كلمة « الارادة » التى هى أعلى مراحل الميول الانسانية . ولذلك كانت مستلزمة للتبعة ؛ فاذا هو امتنع عن تنفيذها استقباحا لها واستهجانا كتبت له حسنة ، لان هذا عمل خير ايجابى . وهذا هو مرمى الشق الذى أضفناه الى المثل الانجليزى الذى عالجناه : « وكذلك الطريق الى الجنة مرصوف بالعزائم الآثمة . »

اذا فهمنا هذين الحديثين سهل علينا أن نفهم ما عداهما من الاحاديث الاخرى التى ترمى الى ما يرميان اليه ، من أمثال قوله عليه الصلاة والسلام : « اذا همّ عبدى بسيئة فلا تكتبوها عليه ، فان عملها فاكتبوها عشرا . » والمراد بالحسنة التى يهم بعملها ولا يعملها ، الحسنة التى يعزم على عملها ويمنعه عن تنفيذ عزمه قوة

خارجة عن ارادته ، بدليل الحديثين المتقدمين . اذ لا يعقل أن تكتب له حسنة حتى ولو كان قد عدل عن عزمه بمحض اختياره .

ونحن ، كما بينا ، مستندون فى رأينا هذا الى فهم روح الاسلام وأخلاقيته كما وردت فى القرآن الكريم والأحاديث الصريحة [1] ويطمئن قلوبنا ما كتبه أئمة الحديث فى الموضوع مما يكاد يكون على أتم وفاق مع رأينا . قال الامام المازرى : ان مذهب القاضى أبى بكر بن الطيب أن من عزم على المعصية بقلبه ، ووطن نفسه عليها ، أثم فى اعتقاده وعزمه . ويحمل ما وقع فى هذه الاحاديث وأمثالها على أن ذلك فيمن لم يوطن نفسه على المعصية وانما مر ذلك بفكره من غير استقرار ، ويسمى هذا هما ، وفرق بين الهم والعزم . وقال القاضى عياض : عامة السلف وأهل العلم من الفقهاء والمحدثين على ما ذهب اليه القاضى أبو بكر ، للاحاديث الدالة على المؤاخذة بأعمال القلوب . لكنهم قالوا ان هذا العزم يكتب سيئة ، وليست السيئة التى هم بها لكونه لم يعملها وقطعه

(١) تدبر مثلا قوله عليه الصلاة والسلام : « ان الله لا ينظر الى أجسامكم ولا الى صوركم ، ولكن ينظر الى قلوبكم . » (وأشار بأصابعه الى صدره .) وقوله عليه السلام : « البر حسن الخلق والاثم ماحاك فى صدرك وكرهت أن يطلع عليه الناس . »

عنها قاطع غير خوف الله تعالى والانابة ، لكن نفس الاصرار والعزم معصية ، فتكتب معصية ، فاذا ارتكبها كتبت معصية ثانية ، فان تركها خشية الله تعالى كتبت حسنة كما فى الحديث « انما تركها من جرّاى » أى من أجلى . فصار تركه لها لخوف الله تعالى ومجاهدته نفسه الامارة بالسوء فى ذلك ، وعصيانه هواه ، حسنة . وأما الهم الذى لا يكتب فهى الخواطر التى لا تتوطن النفس عليها ولا يصحبها عقد ولا نية ولا عزم . وقد تظاهرت نصوص الشريعة بالمؤاخذة بعزم القلب المستقر وعمله كالحسد ، واحتقار المسلمين ، وارادة المكروه بهم . « قُلْ إِن تُبْدُوا مَا فِى أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ اللَّهُ . » [1]

ولعل ابن المقفع قد لخص لنا الموضوع حين قال : « لا تحمد نفسك على ما تركت من الذنوب عجزا . [2] »

على أن هناك نقطة ينبغى أن نتنبه اليها فى هذا البحث ، وهى أن العمل الآثم قد يكون أقل شراً من ثلمة فى أخلاق المرء وإن لم تظهر فى عمل من الاعمال . لأن تلك الثلمة تؤثر فى نشأة الخلق فى ذلك الشخص أكثر مما يؤثر العمل . فالرذيلة التى تعلن عن

(١) شرح الامام النووي على مسلم . وشرح القسطلاني على البخاري باختصار
(٢) أئمة الادب ، ابن المقفع بقلم خليل مردم بك

نفسها ، فى صورة خطيئة أو جريمة ، تلقى فى العادة عقوبتها ، بخلاف الرذيلة الخفية . والرذيلة العلنية ان لم تصحبها عقوبة فلا أقل من أن إثمها يعلن بطريقة لا يمكن أن يعلن بها تفكير آثم . فاذا ما رأى المرء نتائج أعماله واضحة جلية غلب أن يقوده ذلك الى الندم فالتوبة ؛ و بذلك تصلح نفسه ، وتستقيم حياته . فاذا كان فى قلب امرىء شر فخير له وللانسانية أن يترجم ذلك الشر عن نفسه ؛ فالأمل فى إصلاح الآثم الصريح أعظم من الأمل فى إصلاح الآثم الخفى ، الأحجية البشرية التى لا نعرف فى أية كفة نضعها .

الجريمة :

تطلق الجريمة عادة إطلاقا أخص من الخطيئة ؛ فهى تدل على المخالفات التى ينص عليها قانون الجماعة ، والتى هى عرضة لعقوبات منصوص عليها كذلك . و بديهى أنه ليس من الممكن أن يدخل تحت هذا القسم جميع المخالفات الأخلاقية . فنكران الجميل مثلا خطيئة أخلاقية ، ولكنه لا يمكن ادخالها تحت الجرائم القانونية ، فتنص القوانين على عقاب مرتكبها ؛ لأن تحديد الاعمال التى

تندرج تحت هذه الخطيئة يكاد يكون مستحيلا . كذلك نجد الحاسة الاخلاقية فى الشخص ذى الضمير الحى تسابق المستوى الاخلاقى لقانون المجتمع ، فتحتقر أعمالا لا يحتقرها القانون ، و بذلك تجدد خطايا لا يعترف بها القانون على أنها جرائم . ولما كانت الآثار السيئة لبعض الخطايا لا تقع الا على فاعلها ، رؤى فى كثير من الأحيان أن من غير الضرورى أن نشرع قانوناً خاصاً بها .

الفصل الثانى
العقوبة

نشأة العقوبة :

ان للخطيئة نتائج شريرة تصحبها دائماً ، وإن هذه النتائج لتعمل عملها بطريقة ظاهرة أو خفية فى نفس مرتكب الخطيئة ؛ حتى لقد قال سقراط عبارته المعروفة : « إنه لأنكى على المرء أن يرتكب الشر من أن يحتمله . » وهذه القضية صادقة ، بمعنى أن الاضرار التى تلحق من يصيبه الشر أضرار خارجية . فهى لاتؤذى النفس ولا تلحق بها خبثاً ؛ بخلاف الاضرار الناشئة عن ارتكابه الشر ؛ فان مرتكبه يحط من نفسه ، فى ميزان الحياة ، ويجنى على نفسه مالا يستطيع غيره أن يجنى عليه . (١) غير أنه يجب ألا

(١) تدبر فلسفة شكسبير يجريها على لسان مكبث قبل اقترافه الجريمة : « لو أن جريمة القتل لاتعقب أمرا ، ولا تجرشرا ، لهانت على ، ولتركت عقاب الآخرة الى اليوم الآخر . ولكنها جريمة لايتم اقترافها حتى تنزل بفاعلها عقابا أليما . فمن استباح دم غيره استبيح دمه ، ومن دس سما لغيره عادت الكأس الى شفتيه وهى بالسم مترعة . »

Macbeth, Act. I, vii, 1—10.

يعزب عن أذهاننا أن الآثار التى تلحق المرء من جراء جنايته ليست دائماً ظاهرة له أو لغيره ؛ فكثيراً ما يظهر له أو لنا أنه خرج من الامر سالماً . ولا شك أن هذا لا يتفق والمعنى الطبيعى للعدالة ؛ فاننا نترقب بفطرتنا جزاءاً وفاقا لكل امرىء على ما قدمت يداه . ويؤيدنا فى هذا أنه النظام المعقول المنطبق على الفكر الصحيح . فالرجل الفاضل يناضل عن الفضيلة ، ويسعى وراء تقدم الجنس البشرى ؛ ومن الطبيعى أن ننتظر له فوزاً وتوفيقا . والرجل الشرير ينازل الفضيلة ، ويعمل على تدهور الجماعة البشرية ، ويسعى لهدم مانعتقد أنه حق . ويظهر لنا أن من غير الطبيعى ، ومن غير المعقول ، أن يقرن عمله هذا بالنجح والظفر . فاذا حدث أن عمل الرجل الفاضل لم يصادف نجاحا ، فى وقت ما ، لم يمنعنا ذلك من أن نظل معتقدين أن جزاءه آخر الامر لن يكون هباءاً منثورا . فما دام فى السماء إله ، وفى الارض عدل ، كان من المنتظر أن الغرض الذى يرمى اليه ذلك الرجل سيلقى نجاحا ، وكان من الطبيعى أن ينعم هو بنجاح غرضه . وكذلك إذا ألفينا آثماً من الآثمين تبسم له الدنيا ، فى وقت من الاوقات ، لم نستطع أن ندفع عن أنفسنا الشعور بأن هذا التوفيق والهناء

مؤقت ، و بأن ساعة العقوبة آتية لا ريب فيها (١).

ومن ثم نشأت فكرة الاعتراف بالجميل ، والانتقام ؛ وكان يكون مستحيلا أن تتأصل هاتان الفكرتان فى شعور الانسان ، لو لم يكن لهما أساس من العقل ترتكزان عليه ، وعضد من المنطق يعضدهما . إن هذين الوجدانين الطبيعيين هما المنبع الذى ينبع منه الشعور بالثواب والعقاب . وكلما تقدم الجنس البشرى جنح هذا الشعور الى التضاؤل والضعف ، من حيث هو شعور بأمر يتصل اتصالا مباشرا بالشخص . (٢) فلقد كان الانسان الاول شديد المقاومة لكل شر يوجه إليه ، أو الى عضو قريب من أسرته أو عشيرته ؛ وكان لا ينفك يعمل على الثأر من الجانى فى أقرب فرصة مواتية . ولكن بتقدم الفكرة الأخلاقية وارتقائها يضعف هذا الشعور بالثأر الشخصى ؛ إذ يتنبه الانسان إلى أن ما يصيبه شخصياً من الشرور ليس فى المكان الاسمى من الاهمية ؛ بل لقد يجد الصفح سبيلا الى قلبه فى بعض الاحيان . عندئذ

(١) تدبر قول الله : « وأملى لهم ان كيدي متين» وقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ان الله ليملى للظالم حتى اذا أخذه لم يفلته . » والمثل الانجليزى : « العقوبة عرجاء ولكن لابد أن تأتي . »
"Punishment is lame, but it comes."

(٢) هذا التضاؤل أظهر فى العقوبة منه فى الثواب .

يشرع المرء يدرك أن الجانى عليه ليس ضرورةً جانياً على الانسانية ؛ وان الجناية على الانسانية هى التى ينبغى أن تحتل ذروة اهتمامنا .

هذا فيما يتعلق بالجناية على الفرد ؛ أما الجناية على الجماعة فليس للشعور بها سبيل إلى التضاؤل أو الضعف . فالاعتداء على قوانين الجماعة اعتداء على الجماعة ، ولا سبيل الى غفرانه إلا إذا قدمت الترضية الكافية لذلك القانون الذى جُرحت عزته ، وامتُهنت كرامته — لاسبيل إلى صفح المجتمع إلا إذا أصبح جلياً أن العمل الآثم قد غدا مُلغى ، حقيقةً أو حكما . وهذا هو الذى يبرر العقوبة .

معنى العقوبة :

لعل من الخير أن نذكر أصل اشتقاق كلمة « العقوبة » فى اللغة ، ليدلنا ذلك — على أقل تقدير — على المعنى الفطرى الذى لحظ فى ذلك العمل الذى اصطلحنا على إنفاذه فى المجرمين . قال صاحب « المختار » : « العقاب العقوبة ، وعاقبه بذنبه ، وعاقبه جاء بعقبه فهو معاقب وعقيب أيضاً ، وتعقّبه عاقبة بذنبه . » وقال صاحب « المصباح » : « وكل شيء جاء بعد شيء فقد عاقبه وعقبه تعقيباً ، وعاقبت اللص معاقبة وعقابا . » وقال ابن السِّكّيت : « والباب كله يرجع إلى أصل واحد ، وهو أن يجيء الشيء بعقب الشيء أى متأخراً عنه . » وكأننا بذلك قد هدينا إلى تعريف أولى للعقوبة ؛

وهو أنها الألم الذى يتبع عملا من الاعمال . ومن الحق أن نعترف بأن هذا هو المعنى الذى لحظه جميع الاخلاقيين والمشرعين عندما بحثوا العقوبة .[1]

الغرض من العقوبة :

لقد نشأت مذاهب مختلفة فى العقوبة ، ويرمى كل مذهب إلى غاية ينبغى أن تحققها العقوبة : فمذهب يقول إن العقوبة انتقامية ؛ فلا بد للجانى أن ينال جزاء ما اقترفت يداه . ومذهب يرى أن العقوبة يجب أن تكون رادعة ؛ فنحن نعاقب السارق لكيلا يعود الى السرقة . ومذهب يقول إن العقوبة يجب أن تكون واعظة للغير ؛ فنحن نعاقب القاتل لنحول دون وقوع القتل فى المستقبل[2] . ومذهب يرى أن العقوبة يجب أن تكون مُصلحة ؛ فنحن نعاقب لنصلح الجانى أولا وبالذات ، لا لننتقم منه ، ولا لنكتفى شره ، ولا لنعظ غيره . نعم إننا لانستطيع أن نقول إن

(١) ولدينا فى العربية كلمة أخرى هى « العاقبة » وسنحتاج اليها لدى الكلام فى العقوبة الطبيعية عند سبنسر .

(٢) « القتل أنفى للقتل » «وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ» س٢ آ ١٧٩

العقوبة تصلحه فتصل به إلى الكمال الأخلاقى (لأنه ليس فى التاريخ البشرى ما يؤيد أن العقوبة وحدها تصل بالمرء إلى ذلك الكمال) ؛ ولكننا نقول إنها تجعله أبعد عن النقص الاخلاقى مما لو كانت يدها لم تمتد إليه .

وإن نظرة إلى هذه المذاهب الاربعة لتقفنا على هذه الحقائق الثلاث : أولا ، أن واحداً منها يجعل العقوبة غاية مقصودة لذاتها ؛ وذلك هو مذهب العقوبة الانتقامية . ثانياً ، أن المذاهب الثلاثة الأخرى ، تنظر الى العقوبة على أنها وسيلة لا غاية — وإن اختلفت تلك المذاهب فى نوع الغاية التى تسعى وراءها . ثالثاً ، أن هذه المذاهب ليست ضرورةً متناقضة أو متضادة ؛ بمعنى أنه ليس ضروريا أن العقوبة لا تحقق إلا مبدءا واحداً من هذه المبادئ الأربعة : فليس ضروريا أن يكون الاصلاح منعزلا عن الردع والزجر ؛ وقد يتحقق الثأر فى العقوبة المصلحة ، وفى العقوبة الواعظة ؛ وربما اجتمعت الأربعة فى عقوبة من العقوبات .

العقوبة المصلحة :

لا نظن أن هناك اختلافا فى أن خير مبدإ يجب أن نأخذ به فى تربية نشئنا هو مبدأ العقوبة المصلحة . لقد تختلف الآراء فى

موقف الدولة إزاء رعاياها ، من حيث اختيار مذهب من مذاهب العقوبة المتقدمة ؛ أما ونحن بصدد بناء الاخلاق فى أطفالنا فينبغى أن ترمى عقوباتنا إلى غرض واحد هو **الاصلاح** . وبما أن كل صور العقوبة تؤدى عملها من طريق الخوف من الالم ، وجب أن نوجه اهتمامنا إلى البحث فى إمكان جعل الألم ، أو الخوف منه ، وسيلة من وسائل الاصلاح .

يجب أن تخلف العقوبة أثرا فى ارادة المذنب :

أما أن يكون الألم سبباً من أسباب الاصلاح فمشروط بأن يوقظ ذلك الألم فى المعاقَب شعوراً بأنه قد ارتكب ذنباً ، وشعوراً برغبة صادقة فى التكفير عن ذلك الذنب . ألا إن هذا هو أهم عمل للعقوبة ؛ فلا سبيل إلى تقدم الاخلاق وتطهيرها من أدرانها إذا نحن لم نغير رأى المذنب فى نفسه ، ونحول عقيدته فى نفسه من صاحب حق إلى معتدٍ . وذلك ، أولا باعترافه بخطيئته (ولو كان ذلك الاعتراف سراً بينه وبين نفسه .[1]) وثانياً بالتوبة عن

(١) يقول المثل الانجليزي : الاعتراف نصف الموقعة . "Confession is half the battle". يريدون الموقعة النفسية بين النفس اللوامة والنفس الامارة بالسوء . ويقول ابن المقفع : « الاعتراف يؤدي الى التوبة ، والاصرار وعاء الذنوب . »

العودة إليه .[1] فالقيمة الأخلاقية كلها تنحصر فى هاتين الخطوتين ؛ وبدونهما لا يتم الاصلاح . ولكننا مع ذلك نستطيع أن نعمل شيئا ليس هو الاصلاح ، ولكنه قد يمنع الجريمة فى المستقبل . فنحن نستطيع — على الأقل — أن نقنع المذنب العائد بأن هنالك قصاصاً ، فنمنعه بالارهاب من العودة إلى الجرم ، وإن لم نصلح نفسه بالتأثير فى إرادته .[2] نحن نستطيع أن نحول بينه وبين الجريمة بعزله ، أو سجنه ، أو تقييد حريته بطرق مختلفة ، مما لا يختلف عن حبس الحيوان الضارى فى قفص من الحديد . ومثل هذا العمل لا يؤدى إلى إصلاح الخلق مهما أمكن أن يؤدى إلى إصلاح السلوك ؛ لأن الخلق هو « عادة الارادة . »[3] فما لم تصلح الارادة لم يصلح الخلق .

يجب أن تكون السلطة المعاقبة سلطة أخلاقية :

ولن يتأتى التأثير فى ارادة المعاقَب الا اذا شعر بأن السلطة التى

(١) يقول ابن المقفع فى ذلك أيضا : « لا تؤدى التوبة أحداً الى النار ، ولا الاصرار على الذنوب أحدا الى الجنة . » وقد أفضنا القول فى هذه النقطة فى موضوع الضمير فى الجزء الاول من « الاخلاق » وسيظهر موضوع « الضمير والتوبة » فى عددي مايو ويونيه الآتيين فى مجلة المعرفة .

(٢) هذا فى الحقيقة انتقال الى العقوبة الرادعة ، ولا محيص لنا عن ذلك مادامت العقوبة المصلحة قد أخفقت ، وهى لابد أن تخفق مع بعض النفوس .

(٣) تعريف الاستاذ سميلز .